كيف غرد الشعراء بحاجات الفقراء:
محاضرة في نادي الحدود الشمالية:
يوم السبت ١٤٣٣/٦/١٤هـ - ٢٠١٢/٥/٥م

لم يقتتل الناس منذ أن وجد الإنسان على الأرض على الفضائل أيا كان نوعها ولا على إنفاق المال والبذل في أعمال الخير والعطاء والجود ولا على فضائل القيم والأخلاق، إنما كان قتالهم واختلافهم على الدنيا وعلى نصيبهم منها منذ ابني آدم حتى وقتنا الحاضر، والمال والمجد قرينان لا يفترقان كما قال أبو الطيب

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ... ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولهذا السبب كثر حولهما الجدل - المال والجد - ولأن المال يكسبه الأقوياء والولاة والأمراء والعلماء ويجمعه الأثرياء بوسائلهم القادرة، ويحتاجه المعوزون والفقراء كانت جدلية المال هي ناموس الحياة، ولأن الشعر بحر عباب فسنتحدث في هذا المساء كيف انتصر الشعراء للفقراء وعبروا عنهم وعن حاجاتهم مكتفين بأمثلة قليلة من كم هائل في هذا الباب وسنختار القرن الأول وننظر هل اختلف الناس أم اطرد القياس.

يقول أبو جرول الجشمي:

أمنن علينا رسول الله في حر ... فإنك المرؤ نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... يا أكرم الناس حلما حين يختبر

* * *

www.mtenback.com

ويقول عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون أمرئ مهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

* * *

شكوى الولاة:

نؤوب إذا آبوا ونغزوا إذا غزوا ... فأنىّ لهم وفر وليس لنا وفر
إذا التاجر الهندي جاء بفأرة ... من المسك أمست في مفارقهم تجري
فدونك مال الله حيث وجدته ... سيرضون إن شاطرتهم منك بالشطر

* * *

عبدالله السلولي وابن الزبير:

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة ... وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئا قضيمته ... كما قضمت نار الغضى حطب السدر

* * *

مازال في سورة الأعراف يقرؤها ... حتى فؤادي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد ... أفضلت فضلا كثيرا للمساكين

* * *

الأعشى الجعدي:

فإن يك ابن عفاف أمينا ... فلم يبعث بك البر الأمينا
أيا قبر النبي وصاحبيه ... ألا يا غوثنا لو تسمعونا

www.mtenback.com

الأصـــــلي إلهكـــــم علـــــيكم ولا صـــلى علـــى الأمـــراء فينـــا

* * *

إن الـــــذين بعثـــــت في أقطارهـــــا نبـذوا كتابـك واسـتحل المحـرم
طلـس الثيـاب علـى منـابر أرضـنا كـــل يجـــور وكلهـــم يـــتظلم
وأردت أن يلـــي الأمانـــة مـــنهم عـــدل وهيهـــات التقـــي المســـلم

* * *

إن كنـت تحفـظ مـا يليـك فإنمـا عمـال أرضـك في الـبلاد ذئـاب
لـــن يســـتجيبوا للـــذي تـــدعو لـــه حتـى تجلـد في السـيوف رقـاب

* * *

فأمـــــا الأمينـــــان إذ بينـــــا منـار الطريـــق عليـــه الصـــوى
فلـــم يأخـــذا درهمـــا غيلـــة ولـــم يصـــرفا درهمـــا في هـــوى

* * *

ننهى الولاة بحد السيف عـن سرف كفـى بـذاك لهـم مـن زاجـر نـاهي

قد يعجز الناس:

عن تغيير الواقع فيكون دور الشعراء السخرية التي تخفف عن الناس آلامهم بمثل هذا النوع من السخرية اللاذعة والنقد الجري الذي يمقت الواقع المفروض بسلطان القوة.

يلينـــا مـــن قـــريش كـــل عـــام أميـــر محـــدث أو مستشـــار
لنـــا نـــار تحرقنـــا فنخشـــى ولـيس لهـم فـلا يخشـون نـار

* * *

www.mtenback.com

فـــإن تـــأتوا برملـــة أو بهنـــد نبايعهـــا أميـــرة مؤمنينـــا
وكـــل بنيـــك نرضـــاهم جميعـــا وإن شـــئت فعمهمـــا البطينـــا
إذا مـا مـات كسـري قـام كسـري نعـــد ثلاثـــة متناســـقينا

* * *

نحـــن الـــذين إذا خفـــتم مجللـــة قلـــتم لنـــا إننـــا مـــنكم لتعتصـــموا
حتـى إذا انفرجـت عـنكم دجنتهـا صـر تـم كجـرم فـلا إل ولا رحـم

* * *

وهناك المثبطون:

عن الحرب والقتال من أجل السلطة والنفوذ والناهون عن خوض الحرب من أجل السلطة فقط.

ولســـت بقاتـــل رجـــلا يصـــلي علـــى ســـلطان آخـــر مـــن قـــريش
لـــه ســـلطانه وعلـــي وزري معـــاذ الله مـــن ســـفه وطـــيش
أأقتـــل مســـلما وأعـــيش حيـــا فلـيس بنـافعي مـا عشـت عيشـي

* * *

إن للفتنـــــة ميطـــــا بينـــــا فرويـــد المـــيط عنهـــا تعتـــدل
فـــإذا كـــان عطـــاء فـــأتهم وإذا كـــان قتـــال فـــاعتزل
إنمـــا يشـــعلها جهالهـــا حطـــب النـــار فـــدعها تشـــتعل

* * *

أأقتـــل في حجـــاج بـــين عمـــرو وبـــين خصـــيمه عبـــد العزيـــز
أنتقـــل ضـــلة في غيـــر شـــيء ويبقـــى بعـــدنا أهـــل الكنـــوز

www.mtenback.com

فـــإني تـــارك لهمـــا جميعـــا معتــزل كمــا اعتــزل ابــن كــوز

* * *

مــاذا علينــا ومــاذا كــان يرزؤنــا أي الملـوك علـى مـا حولنـا غلبـا
إخـوانكم إن بـلاء حـل سـاحتكم ولا تــرون لنــا في غيرهــا نسـبا

* * *

قد يرى رأس الدولة:

ترضية الناس بزيادة العطاء ولكن القائمين على الخزائن لا يرون ذلك فيماطلون بما وعد به رأس الدولة.

زيادتنـــا نعمـــان لا تحبســـنها تـق الله فينـا والكتـاب الـذي تتلـو
فـلا تـك بـاب الشـر تحسـن فتحـه علينـا وبـاب الخـوف أنـت لـه قفـل
وقـد نلـت سـلطانا عظيمـا فـلا تكـن لغيـرك جمـات النـدى ولـك البخـل
وأنــت امــرو حلــو اللســان بليغــه فمــا بالــه عنــد الزيــادة لا يحلــو
وقبلــك مــا كنــت علينــا أئمــة يهمهــم تقويمنــا وهــم عصــل
يــذمون دنيانــا وهــم يرضــعونها أفـاويق حتـى مالنـا مـنهم سـجل
إذا نطقــوا بــالقول قــالوا فأحســنوا ولكـن حسـن القـول خالفـه الفعـل

* * *

وقد يظهر الفساد:

ويستشري الفساد في المال العام ويولى على الأموال العامة من عرف منه الفساد من الولاة فلا يجد الشعراء بدا من نصحه بما يناسب حالة وما عرف عنه وما يوافق هواه تهكما بالعبث وسوء التقدير وعدم المبالاة بما يعرف الناس:

www.mtenback.com

أحـار ابـن بـدر قـد وليـت إمـارة ... فكـن جـرذا فيهـا تخـون وتسـرق
ولا حقـرن يـا حـار شـيئا تصـيبه ... فحظـك مـن ملـك العـراقين سـرق
وكـاثر تميمـا بـالغنى إن للغنـي ... لسـانا بـه يسـطو الغنـي وينطـق
إذا مـا دعـاك النـاس عـدوك آكـلا ... فكل حار أو جع لست ممـن يحمق
فـإن جميـع النـاس إمـا مكـذب ... يقـول بمـا يهـوى وإمـا مصـدق
يقولـون أقـوالا ولا يثبتونهـا ... فإن قيـل هـاتوا حققـوا لـم يحققـوا
ولا تعجـزن فـالعجز أبطـأ مركـب ... وما كل من يدعى إلى الـرزق يـرزق
إذا قتلنـا ولا يبكـي لنـا أحـد ... قالـت قـريش ألا تلـك المقـادير
نعطـى السـوية مـن طعـن لـه نفـذ ... ولا سـويت إذ تعطـى الـدنانير

* * *

صـبغت أميـة بالـدماء أكفنـا ... وطـوت أميـة دوننـا دنياهـا

* * *

تهـادى قـريش في دمشـق لطيمتـي ... ويـترك اصـحابي ومـا ذاك بالعـدل
يـا بـان الزبيـر أمير المـؤمنين ألـم ... يبلغـك مـا فعـل العمّـال بالعمـل
باعوا التجار طعام الأرض واقتسموا ... صلب الخَراج شِحاحًا قسمةَ النَّفل

* * *

وقـدَّموا لـك شـيخًا كاذبـًا خـذلاً ... مهمـا يقـل لـك شـيخ كـاذب يقـل
وفيـك طالـب حـقٍّ ذو مَرَانيـة ... جلد القوى ليس بالواني ولا الوكِل
اشـدد يـديك بزيـدٍ إن ظفـرت بـه ... واشف الأرامل من دُحروجة الجعل
إنـا مُنينـا بضـبٍّ مـن بنـي خلـفٍ ... يـرى الخيانـة شـرب المـاء بالعسـل
خذ العُصَيفير فانتف ريش ناهضه ... حتـى ينـوء بشـرٍّ بعـد مقتبـل

www.mtenback.com

وما أمانة عتّاب بسالمةٍ ... لا غمز فيها ولكن جمّة السّبل

وقيس كندة قد طالت إمارته ... بسرّة الأرض بين السهل والجبل

وخذ حُجَيراً فأتبعه محاسبةً ... ومن عذرت فلا تعذر بني قُفَلِ

ما رابني منهم إلا ارتفاعهم ... إلى الخبيص عن الصَحناة والبصل

وما غلامٌ على أرضٍ بسالمةٍ ... كمن غزا دستباء غير مجتعِلِ

يجبى إليه خراج الأرض متكئاً ... مستهزئاً بفناء القينة الفضل

والبيّ الذي مهران أمَّره ... فزال مهران مذموماً ولم يزل

ودونك ابن أبي عشٍّ وصاحبه ... قيل السَّبيع فقد أجرى على مهل

ومنقذ بن طريفٍ من بني أسدٍ ... أنبئت عاملهم قد راح ذا ثِقَل

وما أخَينس جعفي بمانعه ... من المتاع قيام الليل بالطّول

والدارمي يطيف البَهرمان به ... في شاربٍ بُدّلت في رعية الإبل

وآخران من العمال عندهُما ... بعضُ المَنالَةِ إن ترفق بها تَنَلِ

محمد بن عميرٍ والذي كَذَبَت ... عليه بكرٌ غداة الروع والوهل

وما فرات وإن قيل امرؤ ورعٌ ... إن نال شيئاً بذاك الخائف الوجل

والحارثي سيرضى أن تقاسمه ... إذا تجاوزت عن أعماله الأول

وادع الأقارع فاقرعهم بداهيةٍ ... واحمل خيانة مسعودٍ على جمل

كانوا أتونا رجالاً لا ركاب لهم ... فأصبحوا اليوم أهلَ الخيلِ والإبلِ

لن يعتبوك ولما يعلُ هامهم ... ضربُ السياط وشدٌّ بعد في الحجل

إن السياط إذا عضت غواربهم ... أبدوا ذخائر من مالٍ ومن حلل

* * *

www.mtenback.com

ولـو بعثـت بعـض اليهـود علـيهم يقـودهم أو بعـض مـن قـد تنصـرا
لقـالوا رضـينا أن اقمـت عطاءنـا وأجريت هذا الفرض من بر كسكري

* * *

بضـع الفتـاة بـألف ألـف كامـل وتبيـت سـادات الجيـوش جياعـا
لـو لأبـي حفـص أقـول مقـالتي وأبـث مـا أبثـتكم لرتاعـا

* * *

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com